

وقد تستعار إشارة للزمان فتقول: هنالك أي في ذلك الوقت, ومنه هذه الآية, الآن إذا قلت: فلان هناك, هذا ظرف مكان, وهذا هو الأصل, ولو قلت مثلا: قدم فلان هناك, تشير إلى الوقت صارت إشارة للزمان لكن هذا خلاف الأصل, بقي علينا أن يقال: خسر في ذلك الوقت الكافرون, ليس الكافرون خاسرين في كل وقت ؟ بلى, لكن تبين خسراهم وظهر لأنهم كانوا قبل أن ينزل عليهم العذاب يظنون أنهم رابحون, ولهذا فرحوا بما عندهم من العلم, لكن إذا نزل بهم العذاب ظهر لهم الخسران.

من فوائد هذه الآيات الحث على النظر في أحوال الأمم السابقة تؤخذ من: **((أفلم يسيروا في الأرض))** وجه الدلالة أن الله وبخهم على عدم السير.

ومن فوائدها أيضا أن السير في الأرض بالقدم إذا لم يصحبه النظر والاعتبار فإنه لا ينفع لقوله: **((أفلم يسيروا فينظروا))** طيب. يتفرع على هذا ما يفعله كثير من الناس اليوم من السير إلى ديار ثمود حيث يسيرون بأبدانهم لكن لا يسيرون بقلوبهم ولا يعتبرون, بل يذهبون إلى هنالك للاطلاع على مآثر القوم بل على آثار القوم الدالة على قوتهم وهذا لا يجوز, الواجب على من سار إلى تلك الديار أن يدخلها وهو باك, لقول النبي صلى الله عليه وسلم: **(فإن لم تكونوا باكين فلا تدخلوها)** ولا ينفع التباكي لقوله: **(فإن لم تكونوا باكين فلا تدخلوها)** ولم يقل فتباكوا, إذن من لم يوطن نفسه على هذا الوصف الذي رخص فيه النبي صلى الله عليه وسلم في الدخول في ديار ثمود فإنه لا يجوز أن يدخل, وغالب الناس المذنبون يذهبون الآن إنما يذهبون للفرجة والنزهة فقط وهذا حرام .

ومن فوائد هذه الآية الكريمة: أن من الأمم من هو أشد قوة وآثارا مما كانت عليه قريش لقوله: **((كانوا أكثر منهم وأشد قوة وآثارا في الأرض))**.

ومن فوائد الآية الكريمة: أن الله تعالى لا يعجزه قوة العدو ولا كثرة العدو, فإن الله تعالى أهلكهم مع كثرتهم وقوتهم طيب. وهل الله عز وجل إذا أراد إهلاكهم يكون إهلاكهم ممتدا لمدة من الزمن حتى يقضي عليهم ؟ لا, قال الله تبارك وتعالى: **((إنا أرسلنا عليهم صيحة واحدة فكانوا كهشيم المحتظر))** المحتظر يعني الذي أحاط أرضه بحظار, والحظار كما تعرفون مركب من أعواد خفيفة أو من

سعف النخل وتأكله الشمس والهواء بسرعة.
ومن فوائد الآية الكريمة: أن قوة الإنسان وكثرة عدده لا تغني عنه شيئاً
من عذاب الله لقوله الله تعالى : **((فما أغنى عنهم ما كانوا يكسبون))**.

ومن فوائد هذه الآيات أن الله سبحانه وتعالى أرسل الرسل بالآيات
البيانات الدلالة على صدقه.
ويتفرع على هذا فائدتان وهما: رحمة الله بالعباد وحكمة الله تعالى في
فعله.

أما رحمة الله بالعباد فلأن الله تعالى لو أرسل إليهم رسلاً بدون آيات
لكان في ذلك تكليف بما لا يطاق, لأن الإنسان لا يمكن أن يصدق
برسول بدون آيات تدل على صدقه, وإلا لأمكن كل كاذب أن يقول إنه
رسول.

وأما الحكمة فظاهرة أن الله سبحانه وتعالى لما أرسل الرسل لم
يتركهم هملاً بل أعطاهم ما على مثله يؤمن البشر كما أخبر بذلك نبينا
صلى الله عليه وعلى آله وسلم : **(أن الله ما بعث رسولا إلا آتاه
ما يؤمن على مثله البشر)** والذي أتته الرسول عليه الصلاة والسلام
هو الوحي القرآن ولهذا قال : **(فأرجوا أن أكون أكثرهم تابعا يوم
القيامة)** لأن القرآن آية باقية إلى يوم القيامة أو إلى أن يأذن الله
تعالى بفساد العالم, أما آيات الرسل فغالبيتها تنقضي في زمانها, لكن آية
الرسول باقية .

ومن فوائد الآية الكريمة: أن آيات الرسل بينة لا تحتمل الشك لقوله: **((
بينات))** ويتفرع على ذلك أنه ينبغي للعالم الذي ينشر شريعة الله عز
وجل إذا نشرها بين الناس أن يكون نشره إياها على وجه بين لا اشتباه
فيه, أولاً: اقتداء بالرسول.

وثانياً: ليزداد المخاطب طمأنينة لأن الطمأنينة لها أثر في قبول ما يلقي
وفي القيام به, فإن الإنسان إذا لم يبين له الحق على وجه تحصل به
الطمأنينة تجده يمشي أو يأخذ بالحق وهو متردد لكن إذا زيد طمأنينة
انتفع بذلك.

الطالب : ... ؟

الشيخ : لا أنا ما قلت هل أنا قلت هذا ؟ الرسول قال: **(والنبي وليس
معه أحد)**.

الطالب : شيخ بارك الله فيكم قلنا أن الهلاك يكون مرة واحدة أليس

هذا بحسب الأمم, ففي عاد الله سبحانه وتعالى أرسل عليهم العذاب في سبه نحسات ... ؟

الشيخ : لا عاد الله سبحانه وتعالى أمد لهم في العذاب لأنهم يقولون من أشد منا قوة, فأرسل الله عليهم الريح التي هي أخف وألطف ما يكون فأهلكتهم, قال : **((سخرها عليهم سبع ليال وثمانية أيام حسوما فترى القوم فيها صرعى كأنهم أعجاز نخل خاوية))** في هذه المدة, قد يكون بعضهم هلك في أول بعضهم في ثاني يوم, تبعاً لما يكون من الملاجئ أو غيرا. أرسل عليهم العقوبة على هذا الشكل ... لأن هذا هو الأصل, ويقال أن هذه وإن امتدت فهي من حين ابتداء العذاب هلك من هلك.

الطالب : ...

الشيخ : ويحتمل أنها آلات ويحتمل أنها لكثرتهم كل واحد مسك عمل ويقوم به, وتعرف أن الإنسان إذا اعتاد على عمل معين ولو كان شاقاً صار سهلاً عليه نعم.

الطالب : في آخر السورة قال: **((وخسر هنالك الكافرون)) ... ؟**
الشيخ : الفائدة من هذا أن بيان أن كل كافر فهو مبطل ليس معه حق, وكل مبطل لا يقول إلا الباطل فهو كافر, يعني المبطل في كل أحواله هذا كافر, يعني ليس معه شيء من الحق, والكافر مبطل ليس معه شيء من الحق أيضاً, باختلاف التعبير لزيادة المعنى.

كما يكون أيضاً في اختلاف القراءات أحياناً, كقول الله تعالى : **((لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستأنسوا))** وفي قراءة أخرى: **((إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا))** في قراءة: فتثبتوا! فتكون القراءة هذه مفسرة للقراءة الثانية.

الطالب : **((سنت الله))** التاء مفتوحة وفي سورة تكون بهاء التأنيث, ما السبب في هذا ؟

الشيخ : يقول: **((سنت))** التاء فيها مفتوحة والقاعدة أنها مربوطة لأنها لمفرد, فيقال أن الرسم العثماني ليس على القواعد المعروفة الآن بل هو توقيفي, وقد اختلف العلماء رحمهم الله هل يجب أن يرسم القرآن بالرسم العثماني أو لا يجب أو يفصل بين أن يلحق التلاميذ الصغار أو الكبار على ثلاثة أقوال:

القول الأول: أنه لا يجوز أن يرسم القرآن إلا بالرسم العثماني على كل حال حتى وإن كنت تعلمه الصبيان فعلى الرسم العثماني فتكتب: **((إن**

الصلاة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا)) تكتب الصلاة بالواو، حتى وإن كنت تدرس صيبا إتباعا للرسم، **((أقيموا الصلاة وآتوا الزكاة))** الصلاة بالواو والزكاة بالواو لأن هذا هو الرسم العثماني. وقال بعضهم بل لا يجب لأن الرسم العثماني حين رسم المصحف صادف أنه على هذا الوجه، ولو كان الرسم العثماني على غير هذه القاعدة لكتب بحسب القاعدة التي كانت في ذلك الوقت، فالمسألة ليست توقيفية لكن صادف أن الرسم في ذلك الوقت على هذا الوجه، فرسم القرآن عليه، وذلك لأن القرآن لم ينزل مكتوبا حتى نقول لابد أن يكون كما كتب بل نزل مقروء، وقاعدة الرسم تختلف من حيث لآخر، وهذا القول له وجه قوي لأننا نعلم علم اليقين أنه لو كانت قاعدة الرسم على غير هذا الوجه في ذلك العهد لكتب بمقتضى القاعدة المعروفة في ذلك العهد.

والقول الثالث يقول: إن كان القرآن مكتوبا للصبيان للتعلم فاكتبه على القاعدة المعروفة بينهم، وإن كان للكبار يعني يكتب الإنسان مصحف فليكتبه على حسب الرسم العثماني، وهذا فيه جمع بين القولين لأنك لو ترسم القرآن للصبى على حسب الرسم العثماني لحرفه، لأن القواعد التي بين يديه تخالف الرسم فيحرفه، فيقرأ مثلا: الزكاة الزكوة، الصلاة الصلوة، الربا الربو، وهلم جرا، واضح.

فأنا أميل إلى أنه لا بأس أن يكتب بمقتضى القاعدة الحاضرة بالنسبة للمتعلم لا شك في ذلك، بالنسبة لغيره فيه احتمال ولكن القول بالمنع فيه نظر.

القارئ : أعوذ بالله من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمن الرحيم:
((حم تنزيل من الرحمن الرحيم كتاب فصلت آياته قرآنا عربيا لقوم يعلمون بشيرا ونذيرا فأعرض أكثرهم فهم لا يسمعون)) .

الشيخ : أعوذ بالله من الشيطان الرجيم قبل أن نبدأ درسنا اليوم نرجع إلى الدرس الماضي من أجل أن نكمل الفوائد، وصلنا إلى ؟ قال الله تعالى : **((فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَرِحُوا بِمَا عِنْدَهُمْ مِنَ الْعِلْمِ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ))** هذه أخذنا فوائدها ؟ من فوائد هذه الآية : **((فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ))** بيان حكمة الله عز وجل ورحمته، إثبات حكمة الله ورحمته، وذلك أنه جعل الآيات التي تأتي بها الرسل آيات بينات حتى لا يبقى حجة.

ومن فوائدها أن الكفار يفخرون بما عندهم من العلم ولو كان باطلا لقوله: **((فرحوا بما عندهم من العلم))** وهذا الذي كان فيما سبق موجود الآن فإن بعض أولئك القوم الذين آتاهم الله من علم الدنيا ما آتاهم تجدهم يفرحون بها ويقولون هي خير من علم أولئك المقوقعين على أنفسهم ويعنون بهم علماء الشريعة.

ومن فوائد هذه الآية الكريمة: التحذير البالغ من رد ما جاءت به الرسل لقوله: **((وحق بهم ما كانوا به يستهزئون))**.

ثم قال تعالى: **((فلما رأوا بأسنا ...))** إلى آخره.

من فوائد هذه الآية الكريمة: أن أولئك القوم المكذبين للرسل إذا رأوا العذاب قالوا آمنا, والمثال على ذلك فرعون لما أدركه الفرق قال: **((آمنت أنه لا إله إلا الذي آمنت به بنو إسرائيل))**.

ومن فوائدها أن هؤلاء الذين يؤمنون بعد أن نزل بهم العذاب لا يستفيدون من إيمانهم شيئا لقوله: **((فلم يك ينفعهم إيمانهم لما رأوا بأسنا))**.

ومن فوائد الآية الكريمة: أن سنة الله عز وجل في العباد واحدة فإنه لا يجابي أحدا لغناه أو لفقره أو لغير ذلك, بل إن أكرم الخلق عند الله أتقاهم لقوله: **((سنت الله التي قد خلت في عباده))**.

ومن فوائد هذه الآية الكريمة: التحذير من تكذيب الرسل وأن من كذب الرسل فإنه سينالهم ما نالهم من العذاب, أي ما نال الأمم السابقة من العذاب.

ومن فوائدها أيضا ظهور الخسران لهؤلاء المكذبين قبل أن يموتوا لقوله: **((وخسر هنالك))** أي حين جاءهم البأس تبين لهم الخسران **((وخسر هنالك الكافرون))**.

ثم قال تبارك وتعالى: **((بسم الله الرحمن الرحيم))** إلى آخره, البسمة تقدم الكلام عليها كثيرا وبيننا أنها آية من كتاب الله ولكنها ليست آية تابعة للسورة التي بعدها ولا التي قبلها, بل هي آية يؤتى بها لابتداء السور ما عدا سورة براءة.

أما معناها فإن الإنسان يقول: ابتداء بكل اسم من أسماء الله, وإنما جعلنا المعنى بكل اسم من أسماء الله لأن اسم مفرد مضاف والمفرد المضاف يفيد العموم, كل مفرد مضاف إلى معرفة فإنه يفيد العموم, ألم تروا إلى قول الله تعالى: **((وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها))** نعمة الله: لو نظرنا إلى لفظها لقلنا أنها واحدة لكنها كثيرة لا تحصى,

فيكون هذا المفرد الذي أضيف يكون للعموم, وهذه هي القاعدة: كل مفرد مضاف لمعرفة فإنه مفيد للعموم, ولهذا قلنا: بكل اسم من أسماء الله.

والرحمن الرحيم صفتان للفظ الجلالة, لكن الأولى روعي فيها الوصف والثانية روعي فيها الفعل وهو إيصال الرحمة, أما متعلق هذا الجار والمجرور فإنه محذوف ويقدر مؤخرًا مناسبًا للمقام, فإذا كنت تريد أن تقرأ فقلت بسم الله الرحمن الرحيم قدر أقرأ, وإنما اختير ذلك أي اختير أن يكون فعلاً لأن الأصل في العمل الأفعال, ولهذا يعمل الفعل بلا شرط, والأسماء التي تعمل عمل الفعل لا بد لها من شروط كما هو معروف في علم النحو, وإنما اخترنا أن يكون متأخرًا لفائدتين:

الفائدة الأولى تيمنا بذكر اسم الله. والفائدة الثانية إرادة الحصر, لأنه إذا تأخر العامل كان ذلك حصرًا, فإذا قلت: زيدًا أكرم, المعنى لا تكرم غيره, لكن لو قلت: أكرم زيدًا, لم يمتنع عن تكريم غيره, إذن أخرناه لفائدتين: الفائدة الأولى تيمنا بذكر الله عز وجل, والثاني الحصر,

وقدرناه مناسبًا لأنه أبين المقصود, فلو قال قائل: بسم الله ابتداءً, قلنا صحيح, لكن لا تبين المراد مثل ما تبينه: باسم الله أقرأ, وذلك لأن الابتداء يكون للقراءة ولغير القراءة, ولهذا اختير أن يكون مناسبًا للمقام, والخلاصة الآن أن متعلق الجار والمجرور هو محذوف, فعل, متأخر مناسب للمقام.

قال الله تعالى ((حم)) وقال المفسر: " **الله أعلم بمراده به** " وهذا هو الأدب مع كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم أن الذي لا تعرف معناه قل الله أعلم بمراده به لقول الله تعالى: ((**وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا**)) [الإسراء: 36].

ولكن قد يقول قائل: إننا نعلم أنه لا معنى لهذه الحروف الهجائية التي توجد في كثير من السور, نعلم ذلك بدلالة القرآن, فقد قال الله تعالى: ((**نزل به الروح الأمين على قلبك لتكون من المنذرين بلسان عربي مبين**)) واللسان العربي لا يكون التعبير بمثل هذه الحروف له معنى في حد ذاته, لو قلت: أ ب ج ح خ ما لها معنى, فإذا لم يكن لها معنى بمقتضى اللسان العربي قلنا أن قوله: ((حم)) ((والم)) ((والر)) وما أشبهها ليس لها معنى في حد ذاتها.

يرد على هذا إذا لم يكن لها معنى صارت لغوا، وكلام الله تعالى لا لغو فيه، فيقال: إنها ليست لغوا، وإنما المراد إقامة الحجة على أولئك المشركين حيث عجزوا عن الإتيان بمثل القرآن ولا بآية واحدة، عجزوا، مع أن هذا القرآن هل أتى بحروف لا يعرفونها حتى يعتذروا ويقولوا أنه جاء بحروف ليست معروفة لنا؟ الجواب: لا، القرآن جاء بحروف يعرفونها.

قال شيخ الإسلام رحمه الله تعالى: " **ولذلك لا تكاد ترى سورة مبدوءة بهذه الحروف إلا وبعدها ذكر القرآن** " وابدأ من أول البقرة إلى أن تأتي إلى آخر السور المبدوءة بهذه الحروف تجد أن بعدها ذكر القرآن، إشارة إلى أن هذا القرآن الذي أعجزكم يا معشر العرب كان من هذه الحروف التي تكونون منها كلامكم، وهذا الذي ذهب إليه شيخ الإسلام رحمه الله واضح جدا، وأما القول بأنه ليس لها معنى فقد قاله مجاهد بن جبر أعلم التابعين بكتاب الله عز وجل.

قال: ((**تنزيل من الرحمن الرحيم كتاب فصلت آياته**)) قال المؤلف رحمه الله المفسر: " ((**تنزيل**)) مبتدأ ((**كتاب**)) خبره " ولو قيل بالعكس لكان أوضح لو قيل: ((**كتاب فصلت آياته**)) ((**تنزيل من الرحمن الرحيم**)) لأنه يخبر بالمعنى عن الذات ولا يخبر بالذات عن المعنى هذا الأصل، فتقول: زيد قائم، قائم خبر ولا تقول زيد خبر، لكن ما ذهب إليه المؤلف من الإعراب له وجه يعني ليس باطلا، لكن لو قيل إن (**تنزيل**) هو الخبر مقدم و (**كتاب**) مبتدأ مؤخر لكان أوضح وأبين.

((**تنزيل من الرحمن الرحيم**)) يعني به الرب عز وجل، أي: تنزيل من الله الرحمن الرحيم، لكنه أتى بهذين الاسمين الكريمين إشارة إلى أن القرآن رحمة، لأن إنزاله من مقتضى رحمة الله عز وجل. ليس من الممكن أن يقال: تنزيل من الله؟ نعم، كما جاء في آية أخرى لكنه قال: ((**من الرحمن الرحيم**)) إشارة إلى أن هذا القرآن نزل بمقتضى رحمة الله عز وجل، وأن الله رحم به العباد.

والرحمن الرحيم اسمان من أسماء الله، من أشرف أسماء الله عز وجل، ويأتيان مقترنين ويأتيان منفصلين بعضهما عن بعض، فإن انفصلا فكل واحد متضمن معنى الآخر فقوله: ((**الرحمن على العرش استوى**)) هذا منفرد عن الرحيم فيتضمن الصفة والفعل، أي أن الله تعالى موصوف بالرحمة الواسعة، وهو سبحانه وتعالى يرحم بهذه

الرحمة من شاء من عباده.

وفي قوله : **((وهو الغفور الرحيم))** أيضا نقول الرحيم هنا تشمل الوصف والفعل لأنها انفردت عن الرحمن, أما إذا اجتمع الرحمن والرحيم كانت الرحمن للصفة والرحيم للفعل, ولهذا جاءت الرحمن على وزن فعلان, وهذا الوزن في اللغة العربية يقتضي الامتلاء.